ترجمة النص الأدبيّ والنّظريّة التّأويليّة

Interpretative Theory Translating Literary Text and the

نسيمة بكاري*

تاريخ الاستلام: 18/ 09/ 2019 تاريخ القبـــول: 20 / 10/ 2019

ملخّص: إنّ الحاجة إلى التّعريف بالأعمال الأدبيّة المحليّة في الخارج، وبالتّالي الحصول على نوعيّة قراء جديدة بل عالمية، تستوجب حتماً عملاً ترجميّاً جبّاراً. ذلك لكون الأعمال الأدبيّة تعتبر المرآة التّي تعكس الثقافة التّي نشأت فيها. وإنّ الثقافة قد تشكل حجر عثرة أمام العمليّة التّرجمية، حيث يتساءل مترجِم النّصوص الأدبيّة عن كيفيّة نقل العوامل الثقافيّة الكثيرة الواردة في الإبداعات الأدبية؟

يحاول هذا المقال تبيان مدى نجاعة النّظريّة التّأويليّة في تجاوز العقبات الثقافيّة في الفعل التّرجمي بوصفه ليس بالعمل الهيّن، وهو لا يشتغل على الكلمة وإنما يشتغل على مستوى الرّسالة ومعناها. حيث تتمثل العمليّة التّرجميّة في التّجريد اللغويّ للنص المراد ترجمته، وذلك بعد فهمه، ثمّ تتمّ إعادة صياغته أو بالأحرى إعادة التّعبير عن الرّسالة نفسها. وحتى يتسنى للمترجم اجتياز تلك المراحل، وجب عليه أن يمتلك مجموعة من الأدوات على غرار: إتقان لغة النّص المصدر، فهم موضوعه وكذا إتقان اللغة الهدف وهيّ لغة التّحرير. كما أنه عليه أن يتبع خطوات منهجيّة مُحكَمة تسمح له بفهم رسالة المؤلف الواردة في النّص الأدبي، ممّا يفضيّ به إلى الحصول على ترجمة جيدة، وذلك من خلال بحثه عن المكافئات، بعيداً عن السّجن الدّلاليّ الذّي توقعه فيه التّرجمة بالتّطابق.

كلمات مفتاحية: إعادة الصياغة؛ الثقافة؛ الفهم؛ المعنى؛ النّظريّة التّأويلية؛ النّص الأدبي.

Abstract: The need to introduce local literary texts abroad, and therefore to acquire new readership, even global ones, inevitably requires a great translation work. This is because literary texts reflect the culture in which they grew up. Culture can be a stumbling block to the translation process. The translator asks literary

* المعهد الوطني للاتصالات وعلوم الإعلام والاتصال، الجزائر، nbekkari@ito.dz

questions about how to convey the many cultural factors contained in literary texts. This article attempts to demonstrate the effectiveness of the interpretative theory in overcoming cultural obstacles in the translation act, as it is not an easy work. It does not work on the word, but works at the level of the message and its meaning. Where the translation process is the linguistic abstraction of the translated text, after having understood, and then reformulate or rather re-express the same message. In order to pass these stages, the translator must have a set of tools such as: mastering the language of the source text, understanding its subject as well as mastering the target language. Moreover, he must follow systematic steps that allow him to understand the author's message in the literary text, leading him to a good translation, by looking for the right equivalents, away from correspondance.

Keywords: Interpretative Theory; Comprehension; Culture; Literary text; Meaning; Re-expression.

1. **مقدّمة:** يجب أن تحتويّ مقدّمة تعتبر التّرجمة منذ غابر العصور حاجة إنسانيّة ملحة، بوصفها جسراً تواصليّاً يربط بين الثقافات والشّعوب المختلفة. ومع مرور الزمن، ازدادت الحاجة إلى التّرجمة أكثر فأكثر بتطور المجتمعات الإنسانية، وكل ما انجرّ عنه من تطوّر في شتى المجالات. إلاّ أنّ الثقافة في التّرجمة الأدبيّة لهيّ الحجاب الحاجز الذّي يقف المترجم عنده ولا يستطيع الانفلات من قبضته. فكيف يمكن له أن ينقل العامل الثقافي من لغة إلى أخرى؟ وما هيّ حدود التّرجمة في هذه الحال؟

في الواقع، غالبا ما كانت تأخذ المسائل اللسانيّة حصة الأسد من اهتمامات المنظرين والباحثين وانشغالاتهم في المجال التّرجمي، ويأتيّ العامل الثقافي في المرتبة الموالية. إلاّ أنه مع تطور الدّراسات التّرجمية، انتقل اهتمام المنظرين إلى العامل الثقافي ومسائله وخباياه:"إذ من بين صعوبات التّرجمة (...) نجد مسائل تدعى ب: الثقافية، حيث الأشياء والمفاهيم التّي تنتميّ إلى ثقافة ما، لا نجد لها مرادفاً في الثقافة الهدف."[1] (M. LEDERER, 1994) إنّ وجود فجوة لسانيّة هو نتيجة فجوة ذات بعد ثقفاي محض، وهو فكرة روتينيّة اعتادت عليها العمليّة التّرجمية، بل هيّ الفكرة التّي تبعث الحياة في التّرجمة وتشكّل في الآن ذاته الصعوبات التّي تواجهها منذ الأزل.

تعتبر النّظريّة التّأويليّة للترجمة هيّ المرجع من أجل حلّ هذه الإشكاليّة المتعلقة بالعامل الثقافي وإمكانيّة ترجمته من استحالتّها، بوصفها نظريّة تسعى إلى إظهار، من جهة، بأنّ كل ملفوظ يتطلّب من

المتحدّث ومحاوره حشد مكاسب مزدوجة: لسانيّة ومعرفية، ومن جهة أخرى، تسعى إلى إظهار بأنّ التّرجمة هيّ إعادة صياغة معنى نص وارد في لغة إلى لغة أخرى.

2. **النّظريّة التّأويلية:** تقوم النّظريّة التّأويليّة على مبدأ مفاده أنّ التّرجمة عمليّة لا تتمّ على مستوى اللسان أو الكلمات، وإنّما تتم على مستوى الرّسالة ومعناها. فالعمليّة التّرجميّة تقوم على عمودين أساسيين هما: الفهم والقول. فالأمر يتعلق بالتّجريد اللغوي، أيّ البحث عن المعنى، ثمّ إعادة صياغته.

يعود الفضل إلى سيدتين قد حبكتا النّظريّة التّأويليّة وذلك نتيجة تجربة طويلة وناجحة في ميدان التّرجمة الفورية، وهما: ماريان لوديرير ودانيتسا سيليسكوفيتش، حيث نجحتا كلتاهما في إظهار العمليّة التّرجمية، وما يجب على المترجم أن يتحلى به، على غرار: إتقان لغة النّص الأصل، وفهم معناه وكذا إتقان اللغة الهدف، إلى جانب الخطوات التّي عليه أن يتبعها حتى يتسنى له إيجاد المكافئات التّي تفضيّ به إلى برّ الأمان، برّ التّرجمة النّاجحة بعيداً عن قيود التّرجمة اللسانيّة التّي ترتكز على التّرجمة بالتّطابق.

3. **المعنى والدّلالة:** إنّ المترجمين اليوم يجمعون على أنه ما يهمّ في العمليّة التّرجميّة هو المعنى، إلاّ أنّه قد يقع اللبس بين مفهومي: المعنى والدّلالة، إذ تعتبران كلمتين ذات مفهوم مرادف، وإنّ عدم التّمييز بين الفارق بينهما يوقع المترجم في شباك التّرجمة الحرفية. لذلك من المهم أن يميز بين مفهوميّ الدّلالة ومعانيّ الوحدات اللسانيّة داخل النّص، حتى لا يخون مؤلف النّص الأصل، وذلك من خلال بحثه عن المقابلات اللسانية.

تعتبر الدّلالة عنصراً من العناصر اللسانيّة التّي تسهم في بناء المعنى، ولكن شتان بين هذا وذاك، فالمعنى نتاج مزج الدّلالات اللسانيّة بعناصر معرفيّة ضمن جزء أو قطعة نصيّة أو خطابية. يعتبر المعنى "الفكرة أو بالأحرى مراد قول المتحدث، وهو عند المستمع، ما قد تمّ فهمه "(2) (M.LEDERER & D. SELESKOVITCH, 1984)، في حين تستقى الدّلالة من القواميس، فالمعنى يمكن استنباطه انطلاقا من التّوظيفات الخطابيّة للغة.

إنّ التّفريق بين الدّلالة والمعنى وإدراك أهميّة هذا الأخير في العمليّة التّرجمية، يبرهن إلى حد بعيد وجود مرحلة التّجريد اللغوي، كما أنّه يؤكّد أنّ المعنى هو أساس العمليّة التّرجمية. مّا يحتّم على المترجم الابتعاد عن كلمات النّص الأصل ووحداته اللسانية.

وبالتّالي، فالمعنى مختلف عن الدّلالة، إذ هو وليد حالة تواصل حيث تتخذ المعرفة اللسانيّة بالمعرفة خارج اللسانية، إذ تتكوّن هذه الأخيرة من معارف متعلقة بحالة التّواصل تلك ومعارف عامة، وذلك كله من أجل تحقيق حالة الفهم. وإنّ هذا التّقابل بين مفهوميّ المعنى والدّلالة ذات أهميّة في عمليّة الفهم بصفة عامة، وفي ممارسة التّرجمة بصفة خاصة، لأنّه بالإمكان فهم كلمات رسالة ما دون فهم معناها والعكس الصحيح، فهم معنى رسالة ما دون فهم جميع كلماتها، ففي الحالة الأولى، يتمّ فهم دلالات

الكلمات الموظفة في الرّسالة، أمّا في الحالة الثانية، فيتم الرّجوع إلى المعرفة خارج لسانيّة لفهم معنى الرّسالة.

على المترجم إذاً أن يعيّ الفرق بين المعنى، وهو موضوع النّشاط التّرجمي، والدّلالة الواردة في القواميس كما أنه عليه أن يعيّ بأنّ الكلمة أو الجملة، إذا وضعت بعيدة عن سياق ما، فإنّ معناها يبقى افتراضيّا غير محدّد.

4. مراحل ترجمة النّص الأدبي: لقد اهتمت البحوث التّرجمية، في الماضي، بدراسة التّرجمة من خلال مقارنة النّص الأصل بالنّص المترجم، أو اللغة الأصل باللغة الهدف. بيد أنّ الدّراسات المعاصرة للترجمة قد استنجدت بمجالات علميّة أخرى، إلاّ أنّها غفلت عن تحليل العمليّة التّرجميّة في حد ذاتها. وإنّ نقطة قوة النّظريّة التّأويليّة هيّ في كونها استطاعت تشريح العمليّة التّرجميّة وتقسيمها إلى مراحل: مرحلة الفهم مرحلة التّجريد اللغوي، مرحلة إعادة الصياغة.

لقد بيّنت عمليّة تشريح الفعل التّرجميّ جليّاً مميزات التّرجمة بوصفها: فعلاً لغويّاً، وفعلاً تواصليّاً عمليّة ذهنية، يقوم بها الإنسان بهدف خدمة إنسان آخر. ممّا يسمح للمترجم بفهم ميكانيزمات العمليّة التّرجمية. وبالتّالي، تسمح له هذه الأخيرة ببحث فعّال لإيجاد الحلول المناسبة من أجل نقل العوامل الثقافيّة الواردة في اللغة الأصل إلى اللغة الهدف.

1.4 مرحلة الفهم: إنّ عمليّة الفهم لا تختص بها التّرجمة فحسب، وإنما هيّ مرحلة تتعلق بكل فعل تواصلي، وسنتوقف هنا عند هذه المرحلة لكونها الأساس الذّي تبنى عليه العمليّة التّرجمية.

لقد أولت سيليسكوفيتش أيّما أهميّة لمرحلة الفهم في عمل التّرجمان في مقالها: «L’interprète de conférences internationales» في العام 1968، ودرستها بوصفها مرحلة يتحدّد فيها المعنى، كما تقول لوديرير في هذا الصدد: "يستدعيّ فهم نص ما كفاءة لسانيّة إلى جانب معرفة موسوعية." [3] (M. LEDERER, 1994)

يستدعيّ فهم نص ما الكفاءة اللسانيّة بمعيّة المعرفة الموسوعيّة من أجل مطابقة شيء ما مع مضمون النّص نفسه. وإنّ فهم نص ما عمليّة ديناميكيّة وحسية، ولقد أكّدت سيليسكوفيتش على هذه الخاصيّة من خلال حديثها عن فهم اللغة الشّفهيّة إذ لا تتّبع عمليّة فهم خطاب ما النّظام العموديّ أو النّظام الخطيّ الأفقيّ للتراكيب اللغوية، وإنّما تقوم عمليّة الفهم على مراحل: تستهلّ بالتّمييز الصوتيّ الذّي يفضيّ إلى تحديد هويّة الكلمات ودلالتّها النّحويّة داخل الجمل ووظيفتها في الخطاب فتذهب الغموض عنها، وعليه فإنّ فهم الخطاب يتمّ بطريقة ذهنيّة من خلال عمليات مدّ جزر بين المفاهيم الجزئيّة المستنبطة والتّداعيات المعرفية، والتّي تنتج كلها عن تركيب ذهنيّ وفكري.

يقوم فهم المعنى سواء من طرف مترجم أم ترجمان أم قارئ عاديّ على "التّأويل"، والذّي يكون نتيجة معالجة المعطيات اللسانيّة من مكملات معرفية.

تؤديّ عمليّة الفهم دوراً مهمّاً في التّرجمة، إذ هيّ نقطة انطلاق هذه الأخيرة. فالمترجم هو في الواقع قارئ، عليه فهم النّص، إلاّ أنّه قارئ من نوع خاص، بل هو قارئ نموذجيّ كما سمّاه أمبرتو إيكو، إذ أنّه يفهم النّص الأصل، ويرميّ إلى إفهام أناس ليس لديهم إمكانيّة بلوغ فهم النّص الأصل. ومن أجل ترجمة نص ما يشترط في المترجم فهم ذلك النّص، إلى جانب الأخذ بعين الاعتبار الهدف الأساس من التّرجمة، والذّي حدّده المنظّران جون بول فينيّ وجون داربلنيّ في أنّ "التّرجمة، خارج المدرسة، تهدف إلى التّعريف للآخرين ما قيل أو كتب في اللغة الأجنبية. فالمترجم بذلك لا يترجم ليفهم بل ليُفهِم، إذ هو فَهِم قبل أن يترجم. [4] (J.P. VINAY & J. DARBELNET, 1958)"

إنّ العناصر اللسانيّة وحدها لا تكفي المترجم للوصول إلى المعنى الوارد في النّص، بل تتمّ عمليّة الفهم من خلال الرّجوع إلى سلسلة من الأدوات والتّي صنّفتها النّظريّة التّأويليّة للترجمة إلى اثنين هما: المعرفة اللسانيّة والمعرفة خارج اللسانية. إذ تؤكّد النّظريّة التّأويليّة أنّ المعنى لا يتأتّى من خلال اللغة المستعملة فحسب، بل تتضافر معه معرفة خارج لسانيّة (المحمول المعرفي، السّياق المعرفي، المكملات المعرفية)، والتّي تؤديّ إلى عمليّة "تأويل" الخطاب المسموع أو المكتوب. وهنا تجدر الإشارة إلى أهميّة دور المعرفة خارج اللسانيّة في بناء المعنى وفهمه، وهيّ عناصر يمكن الارتكاز عليها سواء تعلّق الأمر بالنّصوص الأدبيّة أو النّصوص التّداوليّة وهذا ما يؤكّده فورتيناتو اسرائيل: "من أجل بعث الحياة إلى العلامات الواردة في الورق، فإنّه من المهم تحديد العناصر شديدة الصلة بها، بل تأويلها، كما هو الحال بالنّسبة للنص التّداولي، على ضوء المحمول المعرفي الموجود مسبقاً. [5] " (F. ISRAEL & M. LEDERER, 1991)

وبذلك فأنّ المعنى يستوجب حضور عناصر لسانيّة وغير لسانية، تساعد القارئ على بلورة المعنى وفهم فحواه، ففي غياب تلك العناصر الضّرورية، يكون القارئ عاجزاً عن استيعاب ما يريد قوله المؤلّف، ولن يتجاوز حدود استيعاب الدّلالات اللسانيّة وخارج اللسانية، ويكون جليّاً أكثر في عمليّة نقل العامل الثقافي من لغة إلى أخرى.

لقد كان الشّكل اللسانيّ منذ القديم الشّغل الشّاغل لعدد من المنظرين والدّارسين لعلم التّرجمة، إلاّ أنّ النّظريّة التّأويليّة لا تنكر تلك الأهميّة إلاّ أنّها تضيف إليها المحمول المعرفي، إذ "وحدها المعرفة الجيدة للغة الأصل تمكّن من فهم جيد للمعنى، ووحده الإتقان الجيد للغة الهدف يسمح بإعادة صياغة ملائمة للمعنى نفسه.[6] " (M. LEDERER, 1994)

تتعاضد المكملات المعرفيّة مع الدّلالات اللسانيّة للخطاب من أجل بناء معناه، كما تسهل على القارئ عمليّة التّأويل، والتّي تستوجب نقطتين أساسيتين: المحمول المعرفي، بوصفه مجموع المفاهيم التّي يعرفها

القارئ أو المترجم، والسّياق المعرفي، والذّي يتشكّل من معلومات يتلقاها المترجم بمجرد بدايّة الخطاب أو القراءة. يضاف السّياق المعرفي إلى المحمول المعرفي ويفضيان إلى أحاديّة المعنى الوارد داخل الخطاب المراد ترجمته.

تشترط التّرجمة بوصفها عمليّة تواصليّة كل العناصر التّي تحقق الفعل اللغويّ الذّي ينجر عنه، على غرار: المؤلف وقرّائه، والمكان والزمان، والموضوع والشّخصيات، كلّها عناصر تسهم في تسهيل عمليّة الفهم والتّأويل لدى المترجم. وتستنجد عمليّة الفهم في التّرجمة بالمحمول المعرفي اللسانيّ وخارج اللسانيّ من أجل بلوغ التّأويل، إذ عندما يكون المترجم أمام النّص المراد ترجمته فإنه مجبر على فهم كل شيء فيه فالفهم الجيد يسمح للمترجم بتخطيّ عدة صعوبات متعلقة بنشاطه التّرجمي.

تجدر الإشارة هنا إلى أنّ عمليّة الفهم ليست حكراً على التّرجمة فحسب، بل هيّ مرحلة أساسيّة لكل فعل تواصلي، في حين يشكّل من التّجريد اللغويّ وإعادة الصياغة مسائل تخص التّرجمة على وجه الخصوص.

2.4 مرحلة التّجريد اللغوي: لقد أشارت النّظريّة التّأويليّة إلى عنصر مهمّ يأتيّ في نهايّة مرحلة الفهم وهو عبارة عن تفكير بعيد عن كل ما هو لسانيّ وسمته بـ:التّجريد اللغوي، وهيّ ظاهرة ذهنيّة يمكن لها أن تكون في أيّ فعل تواصليّ جاري. فنحن أحياناً ننسى ما قاله المتحدث غلاّ أنّنا نبقيّ في أذهاننا ما فهمناه واستوعبناه من خلال معرفتنا اللسانيّة وخارج اللسانية، وتؤكّد سيليسكوفيتش بأنّ التّرجمة الفوريّة هيّ أفضل دليل على التّجريد اللغويّ الذّي يكون في آخر مطاف عمليّة الفهم، حيث في التّرجمة الفوريّة يكون تدفق الكلمات من المتحدث بسرعة كبيرة حواليّ 150 كلمة في الدّقيقة الواحدة، وبذلك فالتّرجمان ليس له الوقت الكافي لمراجعة الكلمات والجمل في اللغة الأصل وتحليلها بل هو يحتفظ بها في ذاكرته ويستقيّ منها المعنى الكليّ للخطاب، إلاّ أنّ كلمات المتحدث في اللغة الأصل سرعان ما تندثر من ذهن التّرجمان، ويبقى ما فهمه واستوعبه فقط، وعليه أن يجد له معنى مكافئاً في اللغة الهدف.

إنّ التّجريد اللغويّ للمعنى هو تذكّر ذهنيّ لهذا الأخير، ففي حالة الخطاب الشّفهي، نظراً للتلاشيّ الفعليّ للكلمات في ذهن المترجم، فإنّ التّجريد اللغويّ ينتج عادة عند تلقيّ الخطاب، وهيّ عمليّة قد تحدث في الخطاب المكتوب، إلاّ أنّه قد يحدث أكثر من مرة، لأنّ المترجم يمكن له قراءة الخطاب، ثمّ إعادة قراءته وإعادة النّظر في فقراته. بفضل التّجريد اللغويّ يمكن للمترجم أن يجتنب التّرجمة الحرفيّة في نقله للفقرات أو المقاطع النّصيّة ذات الطّابع الثقافي.

يؤكّد وجود مرحلة التّجريد اللغويّ على ضرورة الفصل بين الشّكل اللسانيّ والمعنى، بوصف هذا الأخير ذي أهميّة قصوى في نظريّة التّرجمة، حيث يكون المعنى نتيجة لعمليّة تأويليّة يقوم بها المترجم.

ويكون نقل رسالة من لغة إلى أخرى انطلاقاً من المعنى وليس من الكلمات المنفردة. ويسمح التّجريد اللغويّ بصياغة ذلك المعنى في لغة أخرى بطريقة تلقائيّة وطبيعية.

3.4 مرحلة إعادة الصياغة: هيّ آخر مرحلة في العمليّة التّرجمية، تعتبر ثمرة الفهم والتّجريد اللغويّ "مهما كان صنف المراد ترجمته، سواء أكان أدبيّاً أم لا، فإنّ مرحلة إعادة الصياغة هيّ مرحلة أساسيّة في العمليّة التّرجمية، ليس فقط لأنّها تشكّل مرحلة الانتهاء، بل لأنّها تشكّل علامة التّزام المترجم. وهيّ المرحلة التّي تحدّد مصير النّص المترجم. [7] " (F. ISRAEL & M. LEDERER, 1991)

على المترجم في هذه الحال أن يؤديّ دور المؤلف والتّعبير عمّا يريد قوله، بمعنى أنّه عليه أن يكون مفهوماً ومن أجل ذلك عليه أن يجد العبارات الصحيحة، من خلال تحيين الأدوات اللسانيّة والمعرفيّة المتعلقة باللغة الهدف حتى يتسنى له إيجاد العبارات المكافئة والتّي تؤديّ مراد قول مؤلف النّص الأصل، وإنّ المحمول المعرفي والسّياق المعرفي وكذا العادات اللغويّة للغة الهدف هيّ أدوات تساعد المترجم في إيجاد التّرجمة الصحيحة.

لا يمكن فصل النّص الأدبيّ عن سياقه الاجتماعي، فالنّص الذّي يراد ترجمته قد ظهر في وسط ثقافي يتركّب من سلسلة من السنن والقوانين الاجتماعية: العادات والتّقاليد والعلاقات الاجتماعية، ومفهوم الجماليّة والنّظم اللسانية، ونظم الكتابة والنّظم الأدبيّة وغيرها. إلاّ الوسط الثقافي الجديد ليس مطابقاً للأصل خاصة إذا تعلّق الأمر بالحقبة الزمنيّة أو المسافة المكانية، فتصبح تلك السنن تشكّل فوارق جسيمة على المترجم إيجاد الحل. فما يكون جزءًا لا يتجزّأ من النّشاط اليوميّ في ثقافة ما، قد يكون دون أيّة أهميّة في ثقافة أخرى.

قد يرجع المترجم إلى مفهوم المعرفة المشتركة، فالكلمات الموظفة في خطاب ما من قبل مؤلف هيّ حتماً كلمات يفهمها متلقيه، فمثلاً لا يمكن لطبيب ما أن يشرح الحالة المرضيّة لشخص ما بالطّريقة نفسها إذا كان يتحدث مع زميل له، أيّ طبيب، أو شخص عادي، ذلك لأنّ هذا الأخير لا يمتلك معرفة طبيّة وهو غير متخصص، فالطّبيب المتحدث في هذه الحال يحاول بناء خطاب يحمل معارف مشتركة بينه وبين من يحاوره.

وحتى يتسنى للمترجم إعادة صياغة جيدة لمراد قول مؤلف النّص الأصل، فإنه عليه ألاّ يتشبّث بكلمات النّص الأصل، بل عليه أن يأخذ بعين الاعتبار العادات اللغويّة عند المتلقيّ الجديد، ومدى استعمال هذا الأخير للمحمول المعرفي في عمليّة فهم النّص المترجم. ففي عمله التّرجمي، يبقى المترجم قلقاً حيال المتلقيّ الجديد في مدى فهمه لما هو بصدد ترجمته وكتابته، إذ من المهم أن يعبّر بالموارد اللغويّة التّي توفرها له اللغة الهدف ولا يعبّر بأشكال لغويّة غير طبيعيّة بالنّسبة للغة الهدف، بل قد تكون مجهولة لديها تماماً.

5. استحالة التّرجمة الأدبية: تعتبر استحالة التّرجمة أهمّ المسائل التّي يتناولها منظّرو التّرجمة وممارسوها، خاصة فيما يتعلق بنقل العامل الثقافيّ، حيث "يشكّل النّشاط التّرجميّ مسألة نظريّة بالنّسبة للسانيات المعاصرة، فإذا ما تقبّلنا طروحات متعلقة بالتّراكيب المعجميّة والمورفولوجيّة والنّحوية، فإنّنا سننتهيّ إلى الجهر باستحالة التّرجمة. [8]"(G. MOUNIN, 1963)

تكمن صعوبات التّرجمة في المعرفة اللسانيّة والموضوعاتيّة للمترجم، وقدرته على إيجاد العبارات المطابقة للأصل، وإنّ هذه المسلَّمة قد وضعها اللسانيون الذّين تناولوا التّرجمة بالدّراسة، حيث حاولوا شرح التّرجمة انطلاقاً من أسس لسانيّة فحصرت التّرجمة في قوقعة التّحليل الدّلاليّ والنّحوي.

كثيرون هم من حلّلوا المسائل التّرجميّة انطلاقاً من الكلمات والأشكال النّحويّة للجمل، بيد أنّه في الواقع تشتغل التّرجمة على النّصوص والخطابات وليس على الكلمات والجمل.

إنّ اللغة نظام يسمح بالتّعبير عن كل ما يراد فهمه وإفهامه مهما كان عدد الكلمات الموظفة والتّعابير اللازم توظيفها، "فكل تجربة معرفيّة يمكن إعادة صياغتها وتصنيفها في أيّ لغة ممكنة. [9]" (C. LAPLACE, 1994)

كل لغة تعبر عن العالم الخارجيّ بطريقتها، ونحسب أنّ اللغة لا تملك بالضّرورة الأدوات اللسانيّة للتعبير عمّا لا تعرفه، إلاّ أنّ هذا الفراغ اللسانيّ لا يمنع النّاس من توسيع معارفهم، فإذا أرادوا التّعبير عن أشياء جديدة فإنهم سيجدون إمكانيّة التّعبير عنها. ففي الماضيّ مثلاً، سواء تعلق الأمر باللغة العربيّة أم اللغات الأجنبيّة الأخرى فإنّه من الجليّ أن كلمات من قبيل الاحتباس الحراري، الانترنت، السّيدا، الهاتف الذّكيّ وغيرها، هيّ كلمات جديدة قد وضعها النّاس لأنها مواضيع جديدة معيشة وتخص العالم بأسره.

وبالتّالي، فإنّ النّقل الثقافيّ ممكن، وذلك انطلاقاً من مبدأ مفاده أنّه إذا كان بالإمكان التّعبير عن أيّ مفاهيم باختلافاتها من لغة إلى أخرى، وبمجرد استيعاب مراد قول المؤلف، فإنه يمكننا إعادة صياغته من خلال الاستعانة بالإمكانات اللسانيّة التّي توفرها اللغة الهدف، وهيّ ليست بالأمر الهين إلاّ أنّها سبب وجود التّرجمة وموضوعها الأساس.

على المترجم أن يتذكر دائماً بأنّه يمكنه أن يترجم كلّ شيء إذا لم يبق حبيس لغة النّص الأصل، وأن يقوم بالبحث التّوثيقيّ الكافي لإيجاد إمكانات التّعبير التّي توفرها اللغة الهدف. فإنّ اللغة، مهما كانت لها إمكانات تعبيريّة أدبيّة أنيقة، وإنّ جهل المترجم لتلك الإمكانات المتوفرة في اللغة الهدف هو الذّي يؤديّ إلى استحالة التّرجمة وليس الشّح التّعبيريّة لهذه اللغة.

6. النّقل الأمين للنص الأدبي: إنّ الأمانة مفهوم جوهريّ في التّرجمة، بل أُصدرت في هذا الموضوع كتب ومقالات ومحاضرات كثيرة ومتعددة، وتطرّق كتاب جورج مونان «Les Belles Infidèles» إلى مفهوم الأمانة، ورصد بانوراما من التّرجمة الحرفية، وكلمة بكلمة ومدى استحالة ترجمة المعانيّ بهذه

الطّريقة كما أنّه ذكر بأنّ التّرجمة صنفان: صنف يميل إلى النّص الأصل ويعطيه الأولوية، وصنف يميل إلى النّص الهدف ويعطيه الأولوية. كما عرض جورج مونان في كتابه «Les problèmes théoriques de la traduction» بحثاً مطوّلاً عن اللغات، إلاّ أنّه لم يحدّد فيم تكمن الأمانة أو النّقل الأمين.

واشتغل فينيّ وداربلنيّ على الكلمات والجمل، إلاّ أنّ حديثهما عن الأمانة لا يمكن له أن يطبّق بالضّرورة على النّصوص والخطابات.

قد تكون التّرجمة سبب تشويش في المعنى، وإنّ هاجس الأمانة والوفاء للنص الأصل يجعل المترجم مقيّداً به، فينتج نصّاً غامضاً غير واضح المعالم بالنّسبة للمتلقيّ الجديد، فترى المترجم يضع هوامش في أسفل الصفحة المترجمة، إيماناً منه بأنّه يخدم التّرجمة، إلاّ أنّه يقتلها بتلك الهوامش.

لقد أعطت النّظريّة التّأويليّة نظرة جديدة لمفهوم الأمانة في التّرجمة، ذلك لأنها النّظريّة التّي فكّكت العمليّة التّرجميّة وقسّمتها إلى مراحل، وكان فيها المعنى هو جوهر التّرجمة، والذّي من أجله يجب على المترجم أن يستعين بالمعرفة اللسانيّة وخارج اللسانية، من أجل الإبقاء عليه من خلال إعادة صياغته في اللغة الهدف وتحذّر النّظريّة التّأويليّة من خطورة تبنيّ التّرجمة الحرفية، "فالأمانة هيّ مفهوم أساسيّ في علو التّرجمة، والأمانة بالنّسبة لنا تكون أمانة لمختلف مظاهر المعنى."[(10)] (M. LEDERER, 1994)

وبما أنّ التّرجمة تهدف إلى نقل المعنى نفسه بوسائل لسانيّة مختلفة من لغة إلى لغة أخرى، فإنّ المترجم هنا يقوم بوظيفة مزدوجة: فهو، من جهة، يعتبر متلقيّ خطاب وارد في لغة، ومن جهة أخرى، باث آخر جديد لنص جديد وارد في لغة أخرى، وإنّ هذه الوظيفة المزدوجة تحدّد صنفين من الأمانة:

- الأمانة لمراد قول المؤلف، بوصف المترجم قارئاً فهو سيحشد جميع المعارف الضّروريّة لاستيعاب مراد قول المؤلف.
- الأمانة في ترجمة أثر مراد قول الأصل، وعندما يصبح المترجم باثّاً لنص موجّه إلى متلقٍ لا يعرف لغة المؤلف الأصل، ويصبح بذلك المعنى المستوعب من قبل المترجم بمثابة مراد قول يعاد صياغته بوسائل اللغة الهدف، إلاّ أنّ متلقيه عليه أن يفهم الشّيء نفسه الذّي فهمه متلقيّ النّص الأصل.

ومن أجل بلوغ هذه الأمانة المزدوجة وجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار المعرفة المشتركة والعادات اللغويّة للمجتمع المتلقي. فالأمانة تتعلق بالمعنى والأثر المراد من قبل المؤلف فما يفهمه متلقيّ الأصل يجب أن يفهمه متلقيّ اللغة الهدف وبالطّريقة نفسها، "فمن المهمّ أن نذكّر بأن يحتفظ النّص بحالتّه الأدبيّة وميزته الجمالية، والأثر النّاتج عن اتحاد الشّكل بالمعنى يجب أن يكون الهدف الأخير من التّرجمة وذلك فوق كل اعتبار."[(11)] (F. ISRAEL & M. LEDERER, 1991)

تكمن صعوبة النّص الأدبيّ في مؤثراته الأسلوبيّة والجماليّة التّي عادة ما تكون نابعة من المجتمع والثقافة التّي نشأ فيها مؤلف النّص الأدبي، وتكمن صعوبة ترجمة هذا الأخير في إمكانيّة إيجاد مكافئات

تلك المؤثرات الأسلوبيّة والجماليّة الواردة في النّص الأصل بحيث يمكن الإبقاء على عنصرين أساسيين هما: مراد قول مؤلف الأصل والأثر المكافئ.

7. **خاتمة:** إنّ مترجم النّص الأدبيّ دائم البحث عن المعانيّ الواردة في التّعابير والألفاظ الأدبيّة ذات الخصوصيّة الثقافية، ويسعى إلى إحداث الأثر نفسه في نفسيّة المتلقيّ الجديد وذهنيته، فيكتسب بذلك صفة المؤلف الثانيّ للنص. كما أنّه عند سعيّ المترجم إلى فهم معنى النّص الأدبيّ وفكّ شفرته اللغويّة ثمّ إعادة صياغته في اللغة المتلقية، فهو ينتهج منهج النّظريّة التّأويليّة التّي تقوم على فهم النّص الأصل وتجريده لغويّاً واستيعابه ثمّ إعادة صياغته، وذلك حسب المتطلبات الثقافيّة واللغويّة الخاصة باللغة الهدف. والمترجم هنا من خلال عمله على بناء نص راق على المستويين: المعنويّ والتّعبيري، فهو يرقى بدور التّرجمة في ربط أواصر الثقافات المختلفة والمجتمعات، فالمترجم يحميّ ثقافات العالم ويحرسها وينشرها.

8. قائمة المراجع:

01. Marianne, LEDERER, « La traduction aujourd'hui : le modèle interprétatif », (Paris : Ed. Hachette, 1994) P.122 : « Parmi les difficultés de la traduction (…) on trouve les problèmes dits culturels. Les objets ou les notions appartenant exclusivement à une culture donnée ne possèdent pas de correspondances lexicales dans la civilisation d'accueil. »

02. Marianne, LEDERER, et Danica, SELESKOVITCH, « Interpréter pour traduire », (Paris : Didier Erudition, 1984) P.256 : « Le sens c'est l'idée ou si l'on préfère le vouloir dire du locuteur, et chez l'auditeur, le compris ».

03. Marianne, LEDERER, « La traduction aujourd'hui », Op. Cit., P.32 : « Comprendre un texte c'est faire appel à une compétence linguistique, à un savoir encyclopédique. »

04. Jean Paul, VINAY et Jean, DARBELNET, « Stylistique comparée du français et de l'anglais », (Paris : Ed. Marcel Didier, 1958), P. 24 : « En dehors de l'école, la traduction a pour but de faire connaître à d'autres ce qui a été dit ou écrit dans la langue étrangère. Celui qui traduit ne traduit pas alors pour comprendre mais pour faire comprendre. Il a compris avant de traduire. »

05. Fortunato, ISRAEL et Marianne, LEDERER, « La liberté en traduction », (Paris : Didier Erudition, 1991), P.33 : « Pour donner vie aux signes couchés sur le papier, il importe non seulement de repérer les éléments pertinents mais aussi de les interpréter comme c'est le cas dans le texte pragmatique, à a lumière d'un bagage cognitif préexistant.»

06. Marianne, LEDERER, « La traduction aujourd'hui », Op. Cit., P.34 : « Seule une excellente connaissance de la langue originale donne directement accès au sens ; seule

une excellente maîtrise de langue d'arrivée permet la réexpression adéquate de ce sens. »

07. Fortunato, ISRAEL et Marianne, LEDERER, Op. Cit., P. 251 : « Quel que soit le type de texte abordé, qu'il soit littéraire ou pas, la phase de réexpression est une étape crucial du processus traductif non seulement parce qu'elle constitue l'aboutissement mais aussi parce qu'elle est le signe concret de l'engagement du traducteur. Et c'est elle qui bien souvent détermine le sort du texte traduit. »

08. Georges, MOUNIN, « Les problèmes théoriques de la traduction », (Paris : Ed. Gallimard, 1963), P. 09 : « L'activité traduisante pose un problème théorique à la linguistique contemporaine : si l'on accepte les thèses courantes sur la structure des lexiques, des morphologiques, et des syntaxes, on aboutit à professer que la traduction devrait être possible. »

09. Roman, JAKOBSON, cité par : Colette, LAPLACE, « Théorie du langage et théorie de la traduction : les concepts clefs de trois auteurs, Kade (Leipzig), Coseriu (Tubigen), Seleskovitch (Paris) », (Paris : Didier Erudition, 1994), P. 185 : « Toute expérience cognitive peut être rendue et classée dans n'importe quelle langue existante. »

10. Marianne, LEDERER, « La traduction aujourd'hui », Op. Cit., P. 118 : « La fidélité est une notion clé en traductologie. Elle ne peut pour nous qu'être fidélité aux différents aspects du sens. »

11. Fortunato, ISRAEL et Marianne, LEDERER, Op. Cit., P.28 : « Il est essentiel, rappelons-le, que le texte conserve son statut littéraire, son caractère esthétique, et que l'effet produit par l'union du sens et de la forme soit, avant toute considération, le but ultime du transfert. »